

منهج المدرسة العقلانية الحديثة

في دراسة الأحاديث المشكلة

بحث مقدم للمشاركة في

المؤتمر السنة النبوية الدولي (مسند)

المحور الثاني :

بجامعة ملايا – ماليزيا

خلال الفترة ١٢-١٣/٧/٢٠١١م

إعداد:

د.سعيد بن صالح الرقيب

أستاذ مشارك في السنة وعلومها

جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية





المقدمة :

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على نبيه محمداً ﷺ الذي بعثه ربه رحمة للعالمين ، و معلماً للأميين بلسان عربي مبين أما بعد :

فإن الله قد اختار محمداً رسولاً ونبياً وأميناً على وحيه ، ومعلماً مبيناً لما جاء عنه سبحانه وتعالى ، وقد أوجب الله طاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما أمر ، وكان من محصلة ذلك أن العالم بالسنة والمحب لها يكون من كل خوف في جُنة ، وسالكٌ على منهاج الحق إلى الجنة ، ولكي يتحقق لهم ذلك فقد أثار سبحانه أشواق المحبين لنبيه ﷺ إلى التصديق بما جاء به وحثهم للاقتداء به ومتابعة سنته والذب عنها.

ولما كانت السنة النبوية بهذه المنزلة الرفيعة فقد وجب على محبيها أن يسعوا في خدمتها بتقريبها إلى الناس ، وتحبيب الناس فيها ، ودعوتهم إليها ، وان يذبوا عنها انتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وتحريف الغالين.

ومما يخدم السنة النبوية في هذا العصر ، ومما سرني هو قيام هذا المؤتمر الدولي عن السنة البنوية ، تحت عنوان :" السنة النبوية وقضاياها المعاصرة " ، والذي يقيمه مشكوراً قسم القرآن والحديث في أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة الملايا ، بمدينة كوالالمبور ، بدولة ماليزيا، وأسأل الله أن يثيب القائمين عليه وأن يوفقهم إلى كل خير.

ولما كان المحور الثاني من محاور المؤتمر عن : الاتجاهات المعاصرة في السنة النبوية ، أحببت المشاركة تحت هذا المحور بهذا البحث بعنوان :" **منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة** ".

فحيث أن باب مشكل الحديث من الأبواب التي ولج فيها بعض من لم يحسن التعامل مع السنة النبوية ، فبعضهم دخل بحسن نية وقصد ، وهذا لا يكفي ولا يعفي من الوقوع في الخطأ لا تأثيماً له ولكن تجريماً لفعله حيث دخل فيما لا يحسن بمثله ممن قلّت بضاعته أن يلج فيه.

وكثيرٌ ممن دخل في الكلام في مشكل الحديث دخل بفساد نية وسوء طوية ، واختاروا سبيل الضلالة فأرادوا هدم الدين بالدين ، وذلك بضرب نصوص الحديث بعضها ببعض ، ليتوصلوا بذلك إلى ردها بالكلية وصرف الناس عنها بدعوى التناقض بين نصوصه ، وممن يتحمل وزر هذا ويرفع رايته في هذا العصر ما يسمى بالمدرسة العقلانية ، وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي :

- الذب عن السنة النبوية الشريفة.

- بيان شيءٍ ما تتعرض له السنة النبوية في هذا العصر من تحديات.



- تعرية منهج المدرسة العقلانية الحديثة تجاه السنة عموماً ، ومشكل الحديث خصوصاً.

- التحذير من سلوك سبيل المعارضين للسنة النبوية.

ويتمثل منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة من خلال الشبهات التي انطلقت منها هذه المدرسة ثم من خلال أسلوب التعامل معها والنظر فيها ودراستها ، لذلك جاءت خطة البحث كما يلي :

تمهيد : وفيه مطلبان : المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل .

المطلب الثاني :تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة.

المبحث الأول : شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف.

المبحث الثاني : منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة.

الخاتمة: المراجع : الفهرس.

ومنهجي في كتابة البحث كما يلي :

- توثيق الآيات القرآنية.

- تخريج الأحاديث الواردة تخريجاً مختصراً.

- وضعت عناوين مناسبة لكل فقرة من البحث.

- وضعت تحت كل فقرة ما يوفقها من نصوص.

- نقل النصوص مباشرة أبو بواسطة ، ووضعها بين حاصرتين " " .

-لم أتعمد الرد على ما ورد من شبهات وضلالات ، وحسبي في ذلك بأن البحث سيكون بين يدي محبي السنة النبوية العالمين بها ، والعاملين في خدمتها.

وأسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه.



تمهيد :

المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل .

تعريف مشكل الحديث :

لغة :" مشكل : مشتق من الفعل أشكل : التبس، وأمور أشكال: ملتبسة" [1].

اصطلاحاً :" أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ بأسانيد مقبولة يوهم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة "[2].

تعريف مختلف الحديث :

لغة : المختلِف بالكسر اسم فاعل وهو من اختلاف الأمرين ، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف "[3].

اصطلاحاً :" وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً ، فيوفق بينهما ، أو يرجح أحدهما"[4].

والفرق بين النوعين واضح وبيّن فبينهما عموم وخصوص ، فكلا النوعين يدرسان ما قد يجده الناظر من تعارض في فهم الأحاديث الشريفة ، فأما مصطلح " مختلف الحديث" فيختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث فقط ، وأما مصطلح " مشكل الحديث " فيعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنى من معاني الحديث الشريف ومفهومه مع ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع ، أو التاريخ ، أو السنن الكونية ، وقد يكون الحديث مشكلاً في ذاته من غير وجود معارض له ، فكل مختلف مشكل ، وليس كل مشكل مختلفا.

وقد سلك أهل العلم المخلصون لدينهم والعاملون له منهجاً متميزاً في دراسة تلك الأحاديث المتعارضة ، حتى غدا هذا العلم من أهم علوم الحديث الشريف ، وغدا منهجهم نبراساً وهدىً لمن أراد إعلاء دين الله وأراد النجاة لنفسه من الوقوع في مهاوي الزيغ والضلال.

١-لسان العرب مادة (ش ك ل).

٢- مختلف الحديث ، ص٣٢.

٣- لسان العرب ٩/٩١ ، تاج العروس ٢٣/٢٤٠.

٤- التقريب والتيسير ص ٢٠ .



المطلب الثاني :تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة.

هذه التسمية ناشئة من ثلاث كلمات :

المدرسة : مكان الدرس والتعليم ، والمدرسة : جماعة من الفلاسفة أو المفكرين ، أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك [١].

العقلانية :وصف منسوب للعقل [٢] ، والعقلانية كمصطلح يراد بها عموماً :" المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل موجود مردود إلى مبادئ عقلية ، ويراد بها خصوصاً الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية " [٣].

الحديثة : نسبة إلى الحديث : نقيض القديم [٤].

وأما باعتبار التركيب فهي : تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين التي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين ، وتعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ "[٥].

علاقتها بالمدرسة العقلية القديمة :

يتضح من خلال أقوال رواد المدرسة العقلانية الحديثة وجود علاقة وطيدة وتوافق منهجي مع المدرسة العقلية القديمة والتي يمثلها المعتزلة ، وهذا ليس من باب التصنيف العقدي لأصحاب المدرسة العقلانية الحديثة ، وإنما قصدت بيان العلاقة الفكرية بينهما فيما يتعلق بالأحاديث المشكلة ، ويمكن للباحث أن يجد علاقة فكرية قوية بين المدرستين ، ومما توافقت فيه المدرستان :

أ - إكبار دور العقل ، وتقديمه على النص ، وإخضاع النص للعقل.

١- المعجم الوسيط ١/٢٨٠.

٢- السلفية وقضايا العقل ص ١٦١.

٣- معجم المصطلحات العلمية مادة (ع ق ل).

٤- لسان العرب مادة (ح د ث).

٥- الجهمية والمعتزلة ص ٢٠٢.



ب - أن أغلب المسائل التي أثارها أصحاب المدرسة الأولى في مشكل الحديث عاد أصحاب المدرسة الحديثة لإثارتها من جديد .

ت - رد الأحاديث المشكلة التي لا تتناسب مع أهوائهم وأصولهم الفاسدة ، وتأويلها تأويلاً عقلانياً .

ومن الأمثلة على توافق منهج المدرستين :

قد أنكرت المعتزلة قديما رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مخالفة في ذلك للمنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة ، وبعض العقلانيين العرب يردد شبهة الأوائل ، فتصده عن قبول الحق وأدلته ، فلا أدرى عن قصد أو غفلة ، جاء في هذا العصر محمد الغزالي فقال عن حديث الرؤية :" الحديث كله معلول وإلصاقه بالآية خطأ - يعنى قولة تعالى ((وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ)) (القيامة : ٢٢-٢٣) وبعض المرضى بالتجسيم هو الذي يسيغ هذه الروايات ، وإن المسلم الحق ليستحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار " [(١)].

وأنكرت المعتزلة قديماً عذاب القبر وردت الأحاديث الواردة في ذلك وجاء أحد العقلانيين في العصر الحاضر وهو إسماعيل منصور فرد الأحاديث في عذاب القبر بقولة :" فتكذيب الحس لما تقوله هاتان الروايتين يجعلهما روايتين كاذبتين على رسول الله ﷺ دون شك أو اختلاف " [(٢)].

ومن أحب قوماً لهج بذكرهم ومدحهم يقول محجوب بن ميلاد :" فقد كان المعتزلة المحرك القوي الذي أطعم التفسير الإسلامي وغذاه وبعث فيه حيوية رائعة ، وأكثر جرأة سطرت صفحات هي من أنفس صفحات التفكير الإسلامي ، وأجرت ينابيع فكرية ماؤها من أصفى المياه وأعذبها " [(٣)].

١- السنة النبوية ص ١٢٥ .

٢- تبصير الأمة ص ٥٢٢ .

٣- نقلاً عن كتاب : الجهمية والمعتزلة ص ٢١٤.



المبحث الأول : شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف.

أثار أعداء السنة جملة من الشبهات جعلوها برأيهم أسباباً علمية وواقعية لرد أحاديث النبي ﷺ التي أشكلت عليهم ومما أثير من شبهات لتسويغ منهجهم في دراسة الأحاديث المشكلة :

الشبهة الأولى : رد الأحاديث بدعوى عدم حجية خبر الآحاد .

جرى في كثير من كتب أهل العلم تقسيم الأخبار الواردة عن النبي ﷺ إلى أخبار أحاد وأخبار متواترة ، يقول ابن حزم :" فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجرى على ذلك أهل كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية ، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك "[1].

وهذا التقسيم فيه كلام طويل ، ولكلام من أورده من أهل العلم بالحديث في مصنفاتهم محامل حسنة ومخارج مرضية ، لكن أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة ساروا على منهج المعتزلة في قصدهم من هذا التقسيم ، وهو أن أخبار الآحاد لما كانت تفيد الظن ، لم يصح في زعمهم الاحتجاج بها في العقائد التي لا تتفق مع منهجهم العقلي البحت.

يقول أبو رية :" الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطى اليقين وإنما تعطى الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمئن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار) من الحشوية الذين لا يقام لهم وزن "[2].

الشبهة الثانية : أن كثيراً من الأحاديث إنما هو من الإسرائيليات أو المسيحيات .

يقول أبو رية : بعد أن ذكر عنواناً " المسيحيات في الإسلام " فإذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامي بمفترياتها ، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو



١- الأحكام ١/١٠٨ .

٢- أضواء على السنة النبوية ص١٩٩ .

تميم ابن أوس الداري[1] . يقصد بذلك حديث الجساسة الطويل ، وقال عن حديث موسى وملك الموت : " إن رائحة الإسرائيلية لتفوح من هذا الحديث" [2] .

وبرر إنكار محمد عبده لحديث سحر النبي ﷺ: لأن من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي من القران وغيره [3] .

ثم جاء إسماعيل منصور وجعل من الأحاديث التي يردها أحاديث تشتمل على إسرائيليات وهي أحاديث امتزجت بروايات أهل الكتاب اليهود والنصارى بعد إسلامهم حيث إن الذين اسلموا منهم جاءوا إلى الإسلام ومعهم بعض أفكارهم وبعض قصصهم التي حفظوها قبل ذلك فجاءت رواياتهم للحديث بعد إسلامهم مختلطة بذلك[4] .

الشبهة الثالثة : الشك في عدالة الصحابة .

الصحابة خير الأمة بعد رسول الله ﷺفقد اختارهم الله أصحابا لنبيه ورضيهم النبي أصحابا له ، هم الذين حملوا الدين عنه وقاموا به بعده ونقلوه بكل أمانة لمن بعدهم فمن طعن في الأصحاب فقد عارض أمر من اختارهم ، واتهم من رضيهم ، ومن طعن في النقلة طعن في المنقول .

وقد تجرأ أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة في الطعن في الصحابة ، ومن أفحش من كتب في ذلك محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية ، وقد كتب أكثر من خمسين صفحة في ذمِّ أبي هريرة رضي الله عنه [5] .

ويريد بهذا الكلام التهميد لمن في قلبه هوى من المدرسة العقلانية الحديثة أن ينتقد الصحابة أو أن يطعن فيهم .

الشبهة الرابعة : إنكار الاحتجاج بالحديث لأنه لا يحتج به في قواعد النحو والصرف.

يقول إسماعيل منصور : فقد تحرج الأئمة الأوائل من علماء اللغة من الاستشهاد اللغوي بما ورد في نصوص السنة ، خوفاً من عدم صحة النسبة إلى رسول الله ﷺ، وكان هذا هو منهج الرعيل الأول من اللغويين وهو

١- نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة ، ص٨٢ .
٢- السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ص١٦٢ .
٣- تفسير المنار ٩/٥٩ .
٤- تبصير الأمة ص٦٢١ .
٥- نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة ص ٩٠ .





مسلك قام على الاحتياط والتدقيق ..... ومن حجتهم مجيء الرواية بألفاظ مختلفة لرواة مختلفين ، وهذا يعني أن الرواة هم الذين صاغوا الأحاديث بعد استقرار معانيها عندهم بعد عهد النبوة بفترة من الزمن[1] .

الشبهة الخامسة : عدم مسايرة الأحاديث للعلم الحديث.

فلتطور الحياة المادية الغربية المبنية على فلسفة القوانين النسبية والتجريبية التي انبهر بها بعض أبناء المسلمين حتى جعلوا ما جاءت به تلك الحضارة مسلمات ، وما جاء في السنة النبوية مما يخالف ظاهره لا يمكن قبوله أو القول به في عصر العلم والاختراعات ، وفي الحقيقة أنهم لم يفهموا النصوص الشرعية كما ينبغي فتوهموا التعارض الذي يؤدي إلى إسقاط احد المتعارضين فبادروا جهلا منهم إلى رد النصوص الشرعية .

ومن الأحاديث التي ردها العقلانيون من هذا الباب : حديث الذباب ، قال ﷺ : " **إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فان في إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء** " [2].

يقول أبو رية :" وماذا يضرنا إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد ، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا .....وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة اخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً ...... على أننا إذا سلمنا كما قلنا أن النبي ﷺ قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس في الرجوع عنه ، وعدم الأخذ به لأنه أمر من أمور الدنيا [3].

الشبهة السادسة : الاكتفاء بما جاء في القرآن .

منذ بدأ المبتدعة الجدد في الهجوم على السنة الشريفة يرددون عبارات الحرص على القرآن واعتباره هو المصدر الأول الذي لا يحتاج لان يضاف معه شيء .

ومن أوائل أولئك القوم : محمد توفيق صدقي فقد كتب مقالاً في مجلة المنار بعنوان " الإسلام هو القرآن وحده " : دعى فيه إلى الاكتفاء بالقرآن ، والزهد في السنة النبوية فيقول : وخلاصة القول في هذا الموضوع إننا يجب علينا

١- تبصير الأمة ص١٠٤ .

٢- أخرجه البخاري ، كتاب الطب ، باب : إذا وقع الذباب في الإناء ح (٥٧٨٢).

٣- أضواء على السنة النبوية ص١٩٩- ٢٠١ .



الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف ، أو بعبارة أخرى – الكتاب والقياس – وأما السنة فما زاد منها عن الكتب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه " [1].

يقول إسماعيل منصور :" وهكذا تتضح عندنا هذه الحقيقة التي تؤكد أن تشريع الأمة الإسلامية هو ما جاءها في القرآن الكريم وحده دون أن يكون معه شيء آخر بأي حال "[2].

١- مجلة المنار ، مجلد ٩ ص ٥١٧ .

٢- تبصير الأمة ص ١٦ .

المبحث الثاني : منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة.

حين تتمكن الشبهات من نفس صاحب الهوى والزيغ فانه يسلك ما استطاع من سبل لإثبات ما رآه ، ولدفع ما يواجهه من حق ، وقد تنوعت الطرق والأساليب التي سلكها العقلانيون في دراسة الأحاديث المشكلة رغبة منهم في رد السنة النبوية ، ورغبة في تبرير موقفهم العدائي منها ، وتقوية لمنهجهم الفكري ، ومن منهجهم وطرائقهم في ذلك:

أولاً : التشكيك في صحة الأحاديث المشكلة ، وادعاؤهم أنها موضوعة.

شكك كثير من العقلانيين في صحة الأحاديث التي أشكلت عليهم حتى ولو كانت تلك الأحاديث مما ورد في الصحيحين الذين اتفقت الأمة على قبولهما ولهم في ذلك مسالك :

الأول : الدعوة صراحة إلى نبذ الأحاديث بدعوى أنها موضوعة ففي رسالة لإسماعيل ادهم نشرها عام ١٣٥٣ هـ ذهب فيها إلى أن هذه الثروة الغالية من الحديث الموجودة بين أيدينا ، والتي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع[١] .

ويتساءل أحمد أمين :" متى بدأ الوضع ؟ ويجيب بقوله يظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول فحديث " **من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** " [٢] يغلب على الظن أنه قيل لحادثة زور فيها على الرسول "[٣]
.

الثاني : عند وجود تعارض بين ظاهر القرآن والحديث الصحيح يسعون إلى تكذيب الحديث بدعوى المعارضة

ثانياً : تأويل نصوص السنة النبوية المشكلة تأويلا باطلا .

حرص العقلانيون على إظهار حرصهم على التمسك بالسنة النبوية ، فلجئوا إلى التأويل الخالي من العلم ، والبعيد كل البعد عن الضوابط اللغوية والشرعية حتى تتلاءم مع أهوائهم وأهدافهم الخبيثة في صرف الناس عن السنة النبوية .

١- نقلاً عن كتاب زوابع في وجه السنة ص ٦٣ .
٢- أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : إثم من كذب على النبي ﷺ ح (١٠٦).
٣- فجر الإسلام ص٢٥٨ .



عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ،ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "** [١].

وبرر محمد عبده رده للحديث بتخريجين :" أحدهما : أن حديثه آحاد ، وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحة وسر رسالته على الناس ، وهو ما غلب في تعاليمهم من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم ... فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر" [٢].

وأصبح هذا منهجاً لمن تبعه على هذا الطريق ، يقول محمد الغزالي :" المشكلة تكمن في أحاديث أخرى صحيحة السند غير أن متونها تقفنا أمامها واجمين ، لنبحث عن تأويل لها أو مخرج " [٣].

ثالثاً : ضرب الأحاديث بعضها ببعض بدعوى التعارض لإسقاطها جميعا .

كمن يجد حديثا لا يتفق مع منهجه العقلي ، وأن ما في الحديث لا يتفق مع معقولات البشر ، فيأخذ التعارضات التي يثيرها البعض ويدع ما جمع به العلماء بينها .

ثالثاً : تهوين أمر السنة النبوية ، والسخرية بمن يعمل بها.

يقول محمد الغزالي :" قرأت خمسين حديثاً ترغب في الفقر وقلة ذات اليد ... وسبعة وسبعين حديثاً ترغب في الزهد في الدنيا ... وسبعة وسبعين حديثاً أخرى في عيشة السلف وكيف كان كفافاً ... ولو جعلنا هذه المرويات محور حياة عامة لشاع الخراب في أرجاء الدنيا ... وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامي كما وقف حمار الشيخ في العقبة لا يتقدم ولا يتأخر ! بل لعله تراجع إلى العصر الحجري في بعض جوانبه "[٤].

وقال : " السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب .... والطبيعي أن من يرد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها .... إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة ، ثم بعد طول تطواف خرجت على الناس ، وفي أيديها من السنن السواك ، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام ، وسر ذلك أنهم دخلوا

١- أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ح (٣٤٤٨).

٢- تفسير المنار ٣/٣١٦ .

٣- السنة النبوية ص١٥٨ .

٤- السنة النبوية ص٤٣ .



المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله في حديث أو سنة محدودة ، فأساءوا بذلك إلى القرآن والسنة جميعاً " [١] .

يقول حسين أحمد أمين :" إنكم تنطلقون كالزنانير الهائجة تلسعون هذا وذاك باسم الحديث النبوي ... فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته" [٢] ، يعني نفسه .

ويقول إسماعيل منصور :" ونحن ندع لعلماء الحديث أن يثبتوا لأنفسهم ما يشاءون وينفون لها أيضاً ما يشاءون ، وليعيشوا في الوهم والظن ما شاءت لهم أنفسهم من ذلك ، ونكتفي هنا بأن نقرر بما رأينا من بيان تفصيلي لهذه المسألة أن كل هذه الروايات هي من الوهم والظن وأنه إذا كان فيها ما يمكن تصديقه ؛ فإنه لن يكون سوى عدم الثقة في كل روايات الحديث عموماً عن إثبات الأحكام " [٣] .

رابعاً : الهجوم على السنة بدافع الهوى ، أو الفهم القاصر لها :

يذكر الشيخ محمد أبو شهبة أمثلة على الفهم القاصر لأبي رية لبعض الأحاديث التي ردها بسوء فهمه ، فيقول : قال – أبو رية – في ص(٢١٤) : وفي حديث لمسلم : أن الساعة تقوم قبل انتهاء القرن الأول الهجري .

يقول أبو شهبة :" ولعل مراده بحديث مسلم قول النبي ﷺ قبل موته بشهر :" **أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد** "[٤] ، والحديث ظاهر في أن المراد انقراض أهل هذا القرن ، وأنه ليس المراد قيام الساعة الكبرى ، وقد غلط المؤلف في فهمه كما غلط أناس من قبله ، ولو تأمل المؤلف في هذه الرواية لما وقع في هذا الزعم الكاذب " [٥] .

ويقول محمد الغزالي :" وأعرضت عن أحاديث أخر توصف بالصحة ، لأنها في فهمي لدين الله وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام " [٦] .

ويضع حسين أحمد أمين قاعدة جديدة لمعرفة الصحيح من السقيم وهي قاعدة " رد كل ما يمجه التفكير "

١- فقه السيرة ص٤٣ .

٢- العقلانية ، عبد السلام البسيوني ص٨٢ .

٣- تبصير الأمة ص ٥٢٠ .

٤- أخرجه مسلم كتاب : فضائل الصحابة ح (٢٥٣٧) .

٥- دفاع عن السنة ، ص١٩٤ .

٦- فقه السيرة ص١٣ .



وضرب لذلك مثالاً حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً : " **إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**" [1] [2] . .

خامساً : التشكيك فيما صح من حديث فيما لا يوافق منهجهم :

قال إسماعيل منصور عن الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قوله : **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه** " [3] ، فهذا حديث مفعم بالركاكة الواضحة لدى كل باحث مدقق محايد أصلاً حيث يظهر فيه : اضطراب المعاني ، رداءة التعبير ، وعدم صدق البيان ، فضلاً عن المخالفات الشرعية الكثيرة التي اشتمل عليها المتن بما لا يقبل معه احتمال أو تبرير" [4] .

سادساً : التعلق بكل شبهة رديئة لرد الأحاديث المشكلة:

إن غياب المنهج الصحيح في التعامل مع السنة بالتسليم والقبول ابتداء ، وعدم محاولة فهمها على مراد الله ورسوله ﷺ يجعل صاحب الهوى وفاسد النية يبحث عن كل شبهة يتعلق بها لبرهنة ما يذهب إليه ، بعيداً كل البعد عن منهج أهل الحديث الذين هم أعلم الناس بالحديث ، ويقصيهم وكأنهم لا شأن لهم بالحديث ، فيأتون إلى الشبهة ويجعلونها قطعية وما ثبت من الحديث مظنوناً .

سابعاً : رد الأحاديث الصحيحة المشكلة بدعوى الغيرة على الدين أو الدفاع عن مصالح المسلمين.

ففي حديث سحر النبي ﷺ الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت : **سحر ﷺحتى إنه ليخل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله** " [5] ، يرى محمد عبده أن هذا الحديث المسمى حديث سحر النبي ﷺيتعارض مع الدعوة إلى تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام[6] .

وقوله أن ذلك يتعارض مع مقام النبوة ويشكك فيما شرعه شبهة قديمة رددها المتأخرون وقد رد عليه العلماء قديما ومن ذلك يقول المازري :" وهذا الذي قالوه باطل وذلك أن الدليل قد قام على صدقة فيما يبلغه عن الله

١- أخرجه مسلم ، كتاب : الأشربة ح (٥٢٦٧).

٢- العقلانية ص١٢٢ .

٣- أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : الحرص على الحديث ح(٩٩) .

٤- تبصير الأمة ص٦٠٨ .

٥- أخرجه البخاري ، كتاب : الطب ، باب : السحر ح (٥٧٦٦).

٦- نقلاً عن كتاب السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ص٢٠٦ .





سبحانه وتعالى ، وعلى عصمته فيه ، والمعجزة شاهدة بصدقه وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ، ولا كان رسولاً مفضلاً من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يتعرض البشر فغير بعيد أن يخيل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له" [١].

ويدافع محمد رشيد رضا عن محمد توفيق صدقي الذي أنكر حديث الذباب ويصفه بالمسلم الغيور فيقول :" لم يطعن في صحة هذا الحديث إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الإسلام ، وتكون سببا لردة بعض ضعفاء الإيمان " [٢].

وجاء أخيرا إسماعيل منصور فرد حديث النبي ﷺ حيث قال : **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** " [٣] ، فقال :" نحب أن نلفت النظر إلى خطورة هذا الحديث خطورة عظيمه على الإسلام حيث أنه — لو صدقه المسلمون وعملوا به – بهدم الدين الإسلامي كلية من ألفه إلى يائه ، وصرف الأمة الإسلامية بالتالي عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان وسبب ذلك باختصار شديد هو : أن الحديث سيعطى دلالة واضحة على أن الإسلام قد فرض على الناس بالقهر لا بالرغبة ، وبالسيف لا بالاختيار ، وهذا هو الصد الذي يخالف الإسلام ، فضلاً عن تسببه في أخذ الأمة الإسلامية إلى طريق منحرف بعيد تماما عن الدين الحق يفرض عليها محاربة شعوب الأرض جميعاً غير المسلمين حتى يسلموا ويدخلوا بالقهر والبطش والقتال في سماحة الإسلام ، وهذا كفيل بهدم كيان الأمة تماماً لكونه يكلفهم ما لا طاقة لهم به " [٤].

وأخيراً كانت هذه مقتطفات مما قاله هؤلاء القوم من ضلالات وأوهام قادهم إليها منهجهم العقلاني الذي جعلوه سيفاً مسلطاً على حديث النبي ﷺ ، وبقي كثير من تلك الأقوال تحتاج إلى جهود طويلة المدى وجماعية في العمل للذب عن السنة النبوية الشريفة.

١- المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/٩٣ .

٢- مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ص٥٠ .

٣- أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل استقبال القبلة ح (٣٩٢).

٤- تبصير الأمة ص ٤٦٤ .



الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له على ما أنعم به عليّ من إنجاز هذا البحث.

وقد خرجت من خلال كتابته بنتائج منها :

- أن النجاة والفلاح في لزوم منهج الحق في التعامل مع السنة النبوية عموماً ، ومع مشكل الحديث خصوصاً.
- أن الردى والتخبط حاصل لكل من تنكب المنهج الحق ، وأن مآل ما يصل إليه هو الزيغ والضلال والخسران .
- أن المعارضين للسنة النبوية في كل عصر لا يألون جهداً في صدّ الناس عنها، ومحاولة طمس أنوارها.
- ضرورة تعلم المنهج الصحيح في التعامل مع مشكل الحديث لطالب العلم ، لأن من لم يتعلم ذلك قد يزل وهو لا يدري .
- خطورة منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التعامل مع السنة النبوية ، والتي ينبغي التصدي لها في كل زمان ومكان .
- اقترح إقامة مؤتمر علمي عن مشكل الحديث في هذا العصر للذب عن السنة النبوية ، فقد ظهرت شبهات ومناهج ينبغي التصدي لها من طلبة العلم المحبين للسنة النبوية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



أهم المراجع :

- تبصير الأمة بحقيقة السنة ، إسماعيل منصور ، النسر الذهبي للطباعة القاهرة ، ١٤١٦هـ.
- التقريب والتيسير ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ١٣٨٥هـ ، دار الكتب الحديثة.
- الجهمية والمعتزلة ، د.ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤٢١هـ.
- دفاع عن السنة ، محمد محمد أبو شهبة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ.
- زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً ، صلاح الدين مقبول ، مجمع البحوث العلمية ، دلهي ، ١٤١١هـ.
- السلفية وقضايا العصر، د.عبد الرحمن الزنيدي ، دار أشبيليا ، الرياض ، ١٤١٨هـ.
- السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ، د.عبد الموجود عبد اللطيف ، مطبعة طيبة ، ١٤١١هـ.
- السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ، د.مكي الشامي ، دار عمار ، عمان ، ١٤٢٠هـ.
- صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة وضبط : محمد علي قطب ، وهشام البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ.
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، اعتنى به : هيثم خليفة الطعيمي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ.
- مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين ، د.نافذ حسين حماد ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٢٨هـ.
- العقلانية هداية أم غواية ، عبد السلام بسيوني ،دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٢هـ.
- المعجم الوسيط ،د.إبراهيم أنيس وآخرون ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.
- المعلم بفوائد مسلم ، للإمام المازري ، تحقيق: محمد النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢م.
- موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، شفيق شقير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٩هـ.
- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٨هـ.



الفهرس :

